للملاقات أوقـات

آمل أن يكون هذا العام بداية عودة الروح في أرشيف الذكريات وان يعيد ما كنا نظن انه ضاع و مات و هو يستهل أيامه ألاولى معى مذكرا ومبشرا ويميض عن وجهه لثاما ظل يحجب رؤيته ضاحكا مستبشرا على مدى عدة عقود..
فالعودة تتمثل فى لقاء الأحبة من الزملاء و الصفوة من ألاصدقاء الذين كنت كلما تذكرتهم ظننت أننا لن نلتقى بعدهذا الفراق الطويل..
بدأ الغيث ينهمرفى بداية العام فجأة و بلا غيوم بلقاء الصديق الدكتور/الفاضل نايل زميلى فى الدراسة فى حنتوب الثانوية و قاضى المديرية فى كوستى والمستشار القانونى لصندوق النقد العربى بالكويت فى زيارة خاطفة لابنه الدكتور عمر فى مستشفى النور بابوظبى حيث اعمل الآن. وكنا نعمل سويا فى مدينة كوستى عام 1974 م.
ولم افق من دغدغة عيونى من أضغاث الحلم اللاذوردى حتى أطل على بعد بضعة أسابيع فى ذات المكتب صاحب الوجه الصبوح الصديق البروفسير المعتمد بالله أحمد الأمين فى زيارة لابنته الطبيبة فى ابوظبى وهو من أصدقاء أيام الطفولة فى الحضن الدفين فى السجانة ..عش (الوكر المهجور) وحديقة (الفراش الحائر) لقيثارة الطرب صديق الكل الفنان عثمان حسين ثم رصيفى فى مدرسة حنتوب الثانوية حيث كنا ثالوث رئاسة داخلية أبوعنجة عام 1958م يشاركنا الصديق الدكتور أحمد يوسف ابوسن والذى يعمل حاليا فى دولة الامارات ويكسر حاجز العزلة القديمة المتجددة بالجوال و التجوال..و قد افترقت من المعتمد بالله بعد جامعة الخرطوم وبقيت أتابع أخباره مستشارا لهيئة الصحة العالمية فى السعودية و أخيرا أستاذا فى جامعة الأحفاد بام درمان..
وأنا أسترجع حلاوة ذلك الزمن الجميل (كحلم عابر طاف بذهنى) كما يقول صديقنا الكنار المغرد فى دوحة الفن الاصيل الشاعر حسين بازرعة فى رائعته (شجن) ... و صلتنى دعوة لحضور حفل تكريم الجمعية الطبية الملكية البريطانية فى لندن .
وصلت لندن لتزدوج الأفراح فى مهرجان عائلى فريد التقيت فيه بالدكتور خالد المبارك الصديق الحميم منذ الصبا الباكر فى عام 1955 فى حنتوب الثانوية مع سعادة القنصل بسفارة السودان فى لندن الأستاذ أحمد عمر تبول ..و كنت قد فارقت الدكتور خالد بعد التخرج من جامعة الخرطوم لنلتقى على عجالة عندما

كان مديرا لدار النشرو الطباعة بجامعة الخرطوم فى عام 1983 ثم أفترقنا حتى ذلك الصباح الجميل فى قاعة الكلية الملكية فى التاسع من مارس الماضى و كانت سعادتى بلقائه لا تقل عن فرحتى بوقع المناسبة فى نفسى وأنا اردد له قول الشاعر:

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما .... يظنان كل الظن الا تلاقيا

وعدت الى ابوظبى وأنا أقول لنفسى كعادة السودانيين عند ما تتوالى عليهم مواسم الفرح :(اللهم اجعله خير) و قد اصبح الصديق البروفسير معتمد أحمد الأمين واسطة العقد و أحد أهم روابط الوصل وحبل المشيمة الذى يربطنا ببطن الوطن الأم ..فاتصل بى يهنئنى وينقل لى حديث الذكريات فى لقاء أبناء حنتوب فى حفل تجمع عائلى بالخرطوم و بلغنى أشواقهم وذكر لى ضمن باقة الحفل الدكتور ابراهيم دقش..وقلت لا بد ان الله يريد بى خيرا كنت انتظره طويلا فى الشتات و لا شك انه يريد ان يكمل نعمته على فيما تبقى من السنوات و قد استجاب لصالح الدعوات فى جمع الشمل فى خريف العمر و لو على موجات لاسلكية او خيوط شبكة عنكبوتية لم تولد او ربما كانت لا توجد عندما فارقت هولاء ولسان حالى يقول :

يامن يعز علينا أن نفارقهم ...وجداننا كل شئ بعدكم عدم

فارسل لى الدكتور معتمد رسالة هاتفية قصيرة تحمل رقم هاتف الدكتور دقش للاتصال به...و كررت لابنائى من حولى سؤالى الملح دائما..مستفسرا و مستنكرا : الا يستحق صانع هذا الجهاز جائزة نوبل ؟؟..فأنا ساتحدث من غرفتى هذه لصديق فارقته منذ نصف قرن وهو الآن ينتظرنى فى مكان ما فى قلب الخرطوم..و تحدثت وكان الرد من دقش و هو لا يصدق صوتى ولا يستبين نبراتى و تمنيت لو حملت جهازا بالصوت و الصوره ..و لله فى خلقه شئوون..فقد درسنا الابتدائية فى مدينة (السوكى) و الوسطى فى مدينة (سنجة) عام 1952 م ونحن القادمون من أصقاع الشمال..وكنا (كالطيور الراحلة لا نحمل خريطة ولا معانا جواز سفر). كما يقول المطرب الراحل مصطفى سيدأحمد.

وكنا و كأن كل منا يريد أن يروى كل قصة حياته ليختصر فى بضع ثوان تاريخ نصف قرن من الزمان..يكفى لتغيير خارطة العالم..و السودان!!؟

ولكننى فى بضع ثوان حصلت على كل خرائط الطرق المؤدية الى كل المدن التى أريد الوصول اليها فى حياته و لافتات الشوارع التى تقودنى الى أقصى بيوت الآخرين..

و سوف احمل هذه العناوين و أخوف (بجوالى) على كل المسافات البعيدة وأقطع الصحارى الشاسعة و المساحات الخرافية حتى لا أبقى منقطعا من الوصل و لا منبتا عن الأصل..

والحق أقول لكم : لقد أحيتنى الغربة انسانا و قتلتنى فنانا..
ولذلك استبشرت خيرا بعودة الروح..
قال تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى و ما أوتيتم من العلم الا قليلا)
صدق الله العظيم..(الاسراء: 85)

دكتور الزين عماره